التحليل البنيوي لسورة البلد

م . د . بلسم عباس حمودي
مركز الدراسات الاستراتيجية
جامعة كربلاء

الكلمات المفتاحية: اللغة العربية. الدراسة البنيوية. القرآن الكريم

الملخص:

يعدّ القرآن الكريم مصدر إلهام مهم للدارسين والباحثين في مختلف مجالات العلم، فهو يحتوي على علوم مختلفة، تشمل: الدين واللغة والعلوم الطبيعية والاجتماعية وغيرها، مما يفتح آفاقًا واسعة للدراسات والبحوث المتعمقة. وإنَّ تأمل آياته، ودراسة مضامينه، يمكن أن يثري الفهم، ويوجه الباحثين نحو الابداع والابتكار. كما أنَّ دراسة القرآن الكريم ذات أهمية كبيرة، فهي توفر فهمًا عميقًا للرسالة الالهية وتعليماتها، وكذلك تسهم في غرس الايمان والعقيدة في نفس الانسان.

يحتوي القرآن الكريم على عدد كبير من الأسرار والعجائب، التي تظهر عظمته واعجازه، وتبحثُ هذه الدراسةُ سر من هذه الأسرار، في سورة من سوره المباركة، وهي سورة البلد، وما في هذه السورة المباركة من لمسات بيانية، وأسرار لغوية، ودلالات ومعانٍ تستحق التأمل، وأساليب نحوية ودلالية وبلاغية تميزت بها. وسنحاول عبر بحثنا، استعمال الدراسة البنيوية، سبر أغوار المعاني، والغوص في الدلالات، والوقوف عند خصوصية الأساليب المستعملة في السورة، من جوانب لغوية مختلفة.

وقد تضمن البحثُ مبحثين: تناول المبحث الأول، أولاً: التعريف بسورة البلد، وثانيًا: تسمية السورة، وثالثا: فضل السورة وخصائصها، ورابعا: في رحاب السورة، وخامسا: سر ترتيب السورة، وسادسا: أغراض السُّورَة المباركة ومقاصدها. أمّا المبحث الثاني فتضمن الدراسة البنيوية للسورة. وختم البحث بخاتمة تتضمن أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

المبحث الأول:

أولا- سورة البلد:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ (1) وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ (2) وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ (3) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ (4) أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ (5) يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا (6) أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ (7) أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ (8) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ (9) وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ (10) فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (11) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (12) فَكُّ رَقَبَةٍ (13) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (14) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (15) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (16) ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (17) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (18) وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (19) عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ (20)﴾ صدق اللهُ العلي العظيم

ثانيا- تسمية السورة:

سميت هذه السورة في ترجمتها عن صحيح البخاري: (سورة لا أقسم)، وسميت السورة في المصاحف وكتب التفسير (سورة البلد). وهو إمّا على حكاية اللفظ الواقع في أولها، وإمّا لإرادة البلد المعروف وهو مكة المكرمة. (ابن عاشور، 1984، صفحة 345 ج30)

ثالثا- فضل السورة وخصائصها:

في ثواب قراءة سورة البلد، جاء بهذا الإسناد، عن الحسين بن أبي العلاء، عن أبي بصير عن أبي عبد اللّه (عليه السّلام)، قال: "من كان قراءته في فريضته ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ كان في الدنيا معروفا أنّه من الصالحين، وكان في الآخرة معروفا أنّ له من اللّه مكانًا، وكان يوم القيامة من رفقاء النبيّين والشّهداء والصالحين". (الشيخ الصدوق، صفحة 152).

وجاء في كتاب خواص القرآن وفوائده، روي عن النبيّ (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم)، أنّه قال: "من قرأ هذه السورة أعطاه اللّه تعالى الأمان من غضبه يوم القيامة، ونجّاه من صعود العقبة الكؤود. ومن كتبها وعلّقها على الطفل، أو ما يولد، أمن عليه من كلّ ما يعرض للأطفال".

وجاء فيه أيضا، أنّ رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) قال: "من قرأها نجّاه اللّه تعالى يوم القيامة من صعوبة العقبة، ومن كتبها وعلّقها على مولود أمن من كلّ آفة، ومن بكاء الأطفال، ونجّاه اللّه من أمّ الصبيان".

ونقل عن الصادق (عليه السّلام) أنّه قال: "إذا علّقت على الطفل أمن من النقص، وإذا سُعِط من مائها أيضا برأ ممّا يؤلم الخياشيم، ونشأ نشوءاً صالحاً" (الأعلمي، 1420هـ-

2000م، صفحة 167). عنِ النبيِّ (صلَّى الله عليهِ وآله وسلَّم) أنَّه قال: "مَنْ قرأَ سورة البلدِ أعطاهُ الله تعالَى الأمانَ من غضبِه يومَ القيامة" (تفسير ابو السعود ص163 ج9)

رابعًا- في رحاب السورة:

عدَّت سورة البلد الخامسة والثلاثين في عدد نزول سور القرآن الكريم، وقد نزلت بعد سورة (ق) وقبل سورة (الطارق). وهي من السور المكية، "وحكى الزمخشري والقرطبي الاتفاق عليه، واقتصر عليه معظم المفسرين، وحكى ابن عطية عن قوم: أنها مدنية. ولعل هذا قول من فسر قوله تعالى: ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ أنَّ الحل الاذن له في القتال يوم الفتح. وقد أشار الزمخشري في الكشاف إلى ابطاله، بأنَّ السورة نزلت بمكة بالاتفاق. وحكى في الاتقان قولا أنَّها مدنية إلا الآيات الأربع من أولها". (ابن عاشور، 1984، صفحة 345 ج30) ترتيبها في المصحف (90) في الجزء الثلاثين. حروفها مائتان وستة وثلاثون، كلماتها ثمانون، آياتها عشرون. (النيسابوري، 1416هـ، صفحة 501 ج6).

وهذه السورة المباركة مع سورة أخرى وهي سورة القيامة: ﴿لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾. كلتاهما ابتدأتا بلفظ القسم صريحا مسبوقا بـ (لا)، "على أنَّ عبارة (لا أقسم) وردت في مستهل آيات أخرى، لكن في غير مفتتح السورة، وكلها آيات مكية، وفعل القسم فيها جميعا مسند إلى الله سبحانه متكلما" (بنت الشاطئ ع.، صفحة 165 ج1).

خامسا- سر ترتيب السورة:

تقع سورة البلد في المصحف الشريف بعد سورة الفجر، ووجه اتصال السورة بما قبلها أي سورة الفجر، "أنَّه لما ذمّ فيها من أحب المال، وأكثر التراث، ولم يحض على طعام المسكين، ذكر في هذه السورة الخصال التي تطلب من صاحب المال، من فك الرقبة، والاطعام في يوم ذي مسغبة". (السيوطي، تناسق الدرر في تناسب السور، 1406هـ-1986م، صفحة 136).

ويرى البقاعي "لما ختم كلمات سورة الفجر بالجنة، التي هي أفضل الأماكن التي يسكنها الخلق، لاسيّما المضافة إلى اسمه الأخص المؤذن بأنها أفضل الجنان، بعد ما ختم آياتها بالنفس المطمئنة، بعد ذكر الأمارة التي وقعت في كبد الندم، الذي يتمنى لأجله العدم، بعد ما تقدم من أنَّها لا تزال في كبد ابتلاء المعيشة في السراء والضراء، افتتح هذه بالأمارة مقسما في أمرها بأعظم البلاد، وأشرف أولى الأنفس المطمئنة، فقال مؤكدا بالنافي من حيث أنه ينفي ضد ما ثبت من مضمون الكلام، مع القطع بأنه لم يقصد به غير ذلك: (لا أقسم) أي اقسم قسما اثبت مضمونه وأنفي ضده، ويمكن أن يكون النفي على ظاهره، والمعنى أن الأمر في الظهور غني

عن الإقسام حتى بهذا القسم الذي انتم عارفون بأنه في غاية العظمة، فيكون كقوله: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾" (البقاعي، صفحة 45و46 ج22).

أمّا اتصال السورة بما بعدها وهي سورة الشمس فظاهر وواضح، "فإنَّه سبحانه لما ختمها بذكر أصحاب الميمنة، وأصحاب المشأمة، أراد الفريقين في سورة الشمس على سبيل الفذلكة. فقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾(الشمس:9)، هم أصحاب الميمنة في سورة البلد، وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾(الشمس:10)، هم أصحاب المشأمة في سورة البلد، فكانت هذه السورة فذلكة تفصيل تلك السورة، ولهذا قال الامام: المقصود من هذه السورة، الترغيب في الطاعات، والتحذير من المعاصي" (السيوطي، تناسق الدرر في تناسب السور، 1406هـ-1986م، صفحة 137و138)

ويؤكد البقاعي الاتصال بين سورة البلد وما بعدها، إذ يقول: "لما اثبت في سورة البلد أنَّ الإنسان في كبد، وختمها بأنَّ من حاد عن سبيله كان في أنكد النكد، وهو النار المؤصدة، أقسم أول هذه على أن الفاعل لذلك أولا وآخرا هو الله سبحانه لأنه يحول بين المرء وقلبه وبين القلب ولبه، فقال مقسما بما يدل على تمام علمه وشمول قدرته في الآفاق علويها وسفليها، والأنفس سعيدها وشقيها، وبدأ بالعالم العلوي، فأفاد ذلك قطعا العلم بأنه الفاعل المختار، وعلى العلم بوجوب ذاته وكمال صفاته، وذلك أقصى درجات القوى النظرية، تذكيرا بعظائم آلائه، ليحمل على الاستغراق في شكر نعمائه، الذي هو منتهى كمالات القوى العملية، مع أن أول المقسم به مذكر بما ختم به آخر تلك من النار" (البقاعي، صفحة 69 و70 ج22)

سادسًا- أغراض السُّورَة المباركة ومقاصدها:

سورة البلد من السور المكية، والمكي "ما نزل من القرآن قبل هجرة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى المدينة حتى ولو نزل بغير مكة، والمدني ما نزل من القرآن بعد الهجرة وإن كان نزوله بمكة". (الجرجاني ع.، 1430هـ-2009م، صفحة 63 ج2) .

تحمل السورة المباركة على قصرها حقائق كبرى مهمة، فقد ابتدأت بقسم يحمل دلالات عميقة، إذ أقسم الله تعالى بالبلد الحرام الذي هو مكة المكرمة، مسقط رأس النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وحرم أبيه ابراهيم ومنشأ أبيه إسماعيل، وبمن ولد به. تعظيماً لشأنه، وتكريماً لمقامه الرفيع عند ربه. (الزمخشري، 1433هـ-2012م، صفحة 586 ج4) ثم تبين الآية الكريمة أنَّ حياة الإنسان في هذه الدنيا مقرونة بالكبد والتعب والمشقة، فهو يعاني ويواجه أنواع المصاعب والشدائد من وقت نفخ الروح إلى نزعها وما وراءه، وأصل الكبد: من قولك: كبد الرجل كبدًا، فهو أكبد: إذا وجعت كبده وانتفخت، فاتّسع فيه حتى استعمل في

كل تعب ومشقة. وبذلك تعد الإنسان من جهة ليصارع العقبات، ومن جهة أخرى تبعده عن طلب الراحة المطلقة في هذا العالم. "وهو تسليةٌ لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم مما كانَ يكابدُه من كفارِ قريشٍ" (أبو السعود العمادي، صفحة 161 ج9)

ثم يعرض بهذا الإنسان المتكبر المغتر بقوته وصحته وماله، أيحسب هذا الإنسان بجهله وفساد تفكيره أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ فينتقم منه. وحين يقول أهلكت مالا لبدا، أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ حين كان ينفق المال الكثير في غير طاعة الله تعالى رياءً وسمعة فيسأله عمّا أنفق وأين، يعني أن الله سبحانه وتعالى يراه فيجازيه، أو يجده فيحاسبه عليه. ينظر: (البيضاوي، 1418هـ، صفحة 313 ج5)

ثم تشير الآيات إلى أهم النعم الإلهية، وذكر جحود الإنسان بهذه النعم.. "(الم نجعل له عينين) يبصر بهما المرئيات، (لسانا) يترجم به عن ضمائره، (شفتين) يطبقهما على فيه، ويستعين بهما على النطق، والأكل، والشرب، وغير ذلك. و(هديناه النجدين) أي: طريقي الخير والشر.. ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ يعني: فلم يشكر الله على هذه النعم العظيمة، بالأعمال الصالحة من فك الرقاب، وإطعام اليتامى والمساكين، ثم بالإيمان الذي هو أصل كل طاعة، وأساس كل خير، بل غمط النعم، وبطر بالعافية، وتجبر على خالقه. والمعنى: أنَّ الإنفاق على هذا الوجه هو الإنفاق المرضي النافع عند الله، لا أن يهلك مالا لبدا في الرياء والفخار، "يريدُ كثرةَ ما أنفقَهُ فيَما كانَ أهلُ الجاهليةِ يسمونَها مكارمَ ويدعونَها معاليَ ومفاخرَ" (أبو السعود العمادي، صفحة 161 ج9)، فيكون مثله ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ﴾(آل عمران:117) (الزمخشري، 1433هـ-2012م، صفحة 587 ج4) و (السعدي، 1422هـ-2002م، صفحة 1091)

وختمت السورة الكريمة بتقسيم الناس إلى: (أصحاب الميمنة) و(أصحاب المشئمة) ففرقت بين المؤمنين والكفار في ذلك اليوم العصيب، وبينت مآل السعداء، ومآل الأشقياء، في دار الجزاء (ابن عاشور، 1984، صفحة 346 ج12) و(مختصر الأمثل في تفسير ص460)

المبحث الثاني: التحليل البنيوي للسورة:

عندما نبدأ بقراءة السورة المباركة سورة البلد، نرى أنَّها ابتدأت بالقسم، وسبب ذلك أنَّ القسم يعطي تشويقًا للسامع لما يرد بعده من كلام، وقد أطيلت جملة القسم لأجل الزيادة في التشويق، ينظر: (ابن عاشور، 1984، صفحة 346 ج30)

و(لا أقسم) معناها أقسم و(لا) هنا جاءت زائدة للتأكيد على رأي جمهرة المفسرين. وذكر أبو حيان في تفسير الآية رأيًا آخر، وهو أنَّ (لا) نافية على حقيقتها، وليست زائدة للتأكيد، وتوجيه العبارة عنده: "إنَّ هذا البلدَ لا يُقسِمُ اللَّهُ بِه، وَقَد جاءَ أهلُهُ بِأعمَالٍ تُوجِبُ الإحلَالَ،

إحلالَ حرمتهِ" (أبو حيان الأندلسي، ١٤٢٠ هـ، صفحة 479 ج10). وبين الشيخ محمد عبده أنَّ "(لا أقسم) عبارة من عبارات العرب في القسم، يراد بها تأكيد الخبر كأنَّه في ثبوته وظهوره لا يحتاج إلى قسم، ويقال إنَّه يؤتى بها في القسم، إذا أريد تعظيم المقسم به، كأنَّ القائل يقول: إنّي لا أعظمه بالقسم، لأنَّه عظيم في نفسه، والمعنى في كل حال على القسم" (محمد عبده، 1341هـ، صفحة 29)

وقد جاءت الإشارة باسم الإشارة (هذا) في قوله تعالى: ﴿لَآ أُقسِمُ بِهَٰذَا ٱلبَلَدِ﴾ على الرغم من بيانه بلفظ البلد، وذلك "إشارة إلى حاضر في أذهان السامعين كأنَّهم يرونه، لأنَّ رؤيته متكررة لهم وهو بلد مكة، ومثله ما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ الْبَلْدَةِ﴾(النمل:91)، وفائدة الاتيان باسم الإشارة "تمييز المقسم به أكمل تمييز لقصد التنويه به" (ابن عاشور، 1984، صفحة 346 ج30)

وَقد أقسم الله سبحانه وتعالى بالبلد مع أَنَّهَ "لَا يدلُّ على صفَةٍ من صفات الذَّات الْإِلهيَّة، ولا من صفَات أَفعَاله، وذلك كنَاية عن تعظِيم اللَّهِ تَعَالَى إِيَّاه وتفضِيله" (ابن عاشور، 1984، صفحة 347 ج30)

وقد أقسم سبحانه وتعالى بالبلد في آية أخرى في القرآن متبوعًا بصفة (الأمين)، إذ قال تعالى: ﴿وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾، ولم يستخدم هذا الوصف في هذه السورة المباركة، وسبب ذلك "أنَّ جو السورة كلها فيه ذكر للمكابدة والمشقة واستحلال الحرمات وما أصاب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في هذا البلد، وليس في السورة مجال لذكر الأمن". (السامرائي ف.، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م، صفحة 247).

وإذا تأملنا الآيتين المباركتين نرى أنَّ (بهذا البلد) قد تكرر فيها، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿لَآ أُقسِمُ بِهَٰذَا ٱلبَلَدِ﴾، ﴿وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا الْبَلَدِ﴾، ولم يقل سبحانه: (وأنت حِلٌّ به)، ويصف الدكتور فاضل السامرائي هذا التكرار، بقوله: "إنَّ هذا أجمل تكرير وأحسنه، ولا يقع الضمير موقعه في الحسن". ثمَّ قال: "إنَّ العرب إذا عُنيت بلفظٍ واهتمت به كررته، وإنَّ ذلك من فصيح كلامهم، وذلك كأن يكون في موطن التشويق أو التحسر أو التعظيم أو التهويل وغير ذلك من مواطن العناية والاهتمام". (السامرائي ف.، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م، صفحة 248).

ويضيف الغرناطي في تعليل ذلك، بأنَّ "الجملة الواقع فيها التكرار جملة اعتراض، وجمل الاعتراض كالكلام الأجنبي بوجه عام... فلكون جمل الاعتراض أجنبية في الأصل عن الكلام، حسن فيها ما لا يحسن في غيرها، فساغ التكرير وحسن في الآية" (الغرناطي، صفحة 506 و507 ج2).

أمّا الخطيب الاسكافي فيعلل هذا التكرير باختلاف المعنى المقصود، لأنَّ المقصود في الآية الأولى غير المقصود في الثانية من وصف، فالبلد في الآية الأولى وهو مكة المكرمة، قصد به معنًى لم يحصل في الثاني، لأنَّ معناه: "أقسم بالبلد المحرم الذي جبلت على تعظيمه قلوب العرب، فلا يحل فيه لأحد ما أحل للنبي - صلى الله عليه وآله وسلم- فقوله: (وأنت حلّ) أي محل أحل لك منه ما حرم على غيرك، فصار المعنى: أقسم بالبلد المحرم تعظيما له، وهو مع أنَّه محرم على غيرك، محلّل لك إكرامًا لمنزلتك، فالبلد في الأول محرّم، وفي الثاني محلّل..فجمع فوائد من تعظيم البلد، وتعظيم النبي -صلى الله عليه وآله وسلم-" (الخطيب الاسكافي، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، صفحة 1356).

- قال تعالى: ﴿وَوَالِد وَمَا وَلَدَ﴾ جاءت بالتنكير للتعظيم (البيضاوي، 1418هـ، صفحة 313 ج5)، "والابهام المستقل بالمدح والتعجب" (الزمخشري، 1433هـ-2012م، صفحة 586 ج4).

واستخدم الذكر الحكيم (ما) بدلًا عن (من)، وذلك لإرادة معنى التعجب (البيضاوي، 1418هـ، صفحة 313 ج5)، إذ يقال فيها ما في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾(آل عمران:36) أي: "بأي شيء وضعت، يعني موضوعًا عجيب الشأن". (الزمخشري، 1433هـ-2012م، صفحة 586 ج4).

ويرى الدكتور السامرائي أنَّ مجيء (ما) عوضًا عن (من)، يناسب العموم والشمول في الآية المباركة، لكون (مَا) عامة، فهي تقع لذوات غير العاقل، وتقع لصفات مَنْ يعقل، فتقول: (أركبُ ما تركبُ) و(آكلُ ما تأكل)، فهي هنا لذوات غير العاقل. وتقع لصفات العقلاء، قال تعالى: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾(النساء:3). وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾(الليل:3)، وهو الله سبحانه. ثم إنَّ لفظها يوحي بالسعة والشمول، ذلك أنَّها منتهية بحرف الإطلاق وهو الألف، وهو الذي يمتد فيه النَفَس. وهذا بخلاف (من) فهي خاصة، كما أنَّها تنتهي بحرف مقيد، وهو النون الساكنة. ينظر: (السامرائي ف.، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م، صفحة 253).

ولأنَّ (ما) أشدُّ إبهامًا من (مَنْ) لذلك جاءت في الآية الشريفة، لإرادة تفخيم أصحاب هذه الصلة، فجيء لهم بالموصول الشَّديد الإبهام لإرادة التَّفخيم، ويوضّحُ هذا أَنَّ (مَا) تستعْمَل نكرة تامة باتِّفَاقٍ، وَ(مَنْ) لا تستعمَلُ نكرةً تامَّةً إِلَّا عند الفارسيّ. ينظر: (ابن عاشور، 1984، صفحة 349 ج30).

- قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان فِي كَبَدٍ﴾ وهي جملة جواب القسم، وهو الغرض الرئيس المراد من السورة، ومعنى الكبد: الشدة والمشقة. ومعنى (فِي كَبَدٍ) "أي في تعب ومشقة، فإنَّه لا يزالُ

يُقاسِي فنونَ الشدائدِ، منْ وقتِ نفخ الروح إلى نَزْعِها وما وراءَهُ" (أبو السعود العمادي، صفحة 161 ج9). ولقد عبر القرآن الكريم عن هذا المعنى بلفظ (كبد) بصيغة النكرة، "ليذهب فيها الظن كل مذهب" (بنت الشاطئ ع.، صفحة 179). ويرى الدكتور السامرائي أنَّ الآية المباركة جاءت بهذا اللفظ، ولم يقل: (يكابد) أو (مكابدًا)، "ذلك أنَّ (في) تفيد الظرفية والوعاء. ومعناه: أنَّ الإنسان خلق مغمورًا في المشاق والشدائد والصعاب، منغمسًا فيها كما ينغمر الشيء في الماء" (السامرائي ف.، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م، صفحة 254).

- قال تعالى: ﴿أَيَحسَبُ أَن لَّن يَقدِرَ عَلَيهِ أَحَد﴾ بنيت الآية المباركة على الاستفهام التقريري، وهذا الاستفهام "يحمل من الإنكار قدر ما يحمل من التقرير القاطع الحاسم". (بنت الشاطئ ع.، صفحة 179) والضمير في الفعل (أيحسب) عائد على ما دلَّ عليه سياق الآية من بعض صناديد قريش، الذي كان رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) يكابد منهم ما يكابد. و(عليه) للإنسان والتهديد مصروف لمن يستحقه.

ثم ذكرت الآية المباركة ما يقوله في ذلك اليوم، وأنه يقول: ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا﴾ يريد كثرة ما أنفقه فيما كان أهل الجاهلية يسمونها مكارم، ويدعونها معالي ومفاخر. وجاء الرد الحاسم ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾، "حين كان ينفق ما ينفق رئاء الناس وافتخارًا بينهم، يعني: أنّ الله كان يراه وكان عليه رقيبا" (الزمخشري، 1433هـ-2012م، صفحة 586 ج4).

وقد عبر القرآن الكريم عن الإنفاق للمال بالإهلاك، فإنه سبحانه لم يقل: (أنفقت مالاً) كما هو الشائع في الاستعمال القرآني. وإنَّ اختيار تعبير الإهلاك في هذا الموطن اختيارًا في غاية الدقة، جاء في (روح المعاني): "وعبر عن الإنفاق بالإهلاك إظهاراً لعدم الاكتراث، وأنه لم يفعل ذلك رجاء نفع، فكأنه جعل المال الكثير ضائعاً" (الالوسي، ١٤١٥ هـ، صفحة 352 ج15)

وذكر السعدي أنَّ سبب تسمية القرآن الكريم الانفاق في الشهوات والمعاصي إهلاكا، وذلك لأنَّ هذا الإنفاق "لا ينفع المنفق بما أنفق، ولا يعود عليه من انفاقه إلا الندم والخسار والتعب والقلة، لا كمن أنفق في مرضاة الله في سبيل الخير، فإنَّ هذا قد تاجر مع الله وربح أضعاف أضعاف ما أنفق" (السعدي، 1422هـ-2002م، صفحة 1091). وفيه إنكار من الله سبحانه وتعالى، على الإنسان قوله هذا، وافتخاره بإنفاقه في غير نفع أو فائدة. واللبد "هو الكثير الذي يلبد بعضه فوق بعض"، ينظر: (الجوزية، صفحة ص29).

وفي اختيار لفظ (اللبد) في الآية، مكان لفظ (الكثير) دقة وبلاغة، ذلك لأنَّ اللبد معناه الكثير المجتمع بعضه على بعض، من تلبد الشيء إذا اجتمع. جاء في (الكشاف): "لُبَداً قرئ بالضم والكسر جمع لُبدة ولِبدة، وهو ما تَلبَّدَ يريد الكثرة." (الزمخشري، 1433هـ-2012م،

صفحة 755 ج4) وهذا المعنى "متناسب مع اجتماع الكفرة لإيذاء الرسول والمسلمين لصدِّهم عن دعوتهم، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ الله يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً﴾(الجن: 19). فاجتماعُ المال في الإهلاك مناسب لاجتماع الكفرة على الرسول لإهلاكه، وإهلاك دعوته وهو حِلٌّ بهذا البلد. فانظر حُسْنَ هذا الاختيار وعُلُوَّ هذا التعبير" (السامرائي ف.، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م، صفحة 260 و261)

- قال تعالى: ﴿أَيَحسَبُ أَن لَّم يَرَهُ أَحَدٌ﴾ استفهام على سبيل الانكار، فيه ردع وزجر، "يفاجأ المغتر بماله وقوته، وفي حسابه أن لم يره أحد. وعدلت الآية هنا عن (لن) التي في الاستفهام الأول، إلى (لم) التي تنصرف إلى الماضي، فتقرر أنَّ ماضي المغتر محسوب عليه محاط به" (بنت الشاطئ ع.، صفحة 180).

وبعد أن حكى الله تعالى عن هذا الكافر قوله، "أقام الدلالة على كمال قدرته، فقال سبحانه: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ. وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ. وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ لما في هذه الأعضاء من عجائب" (الرازي، 1401هـ-1981م، صفحة 184 ج31). وهو برهان مقدر ذكره الله تعالى يؤكد "أنَّه سبحانه أحقُّ بالرؤية، وأولى من هذا العبد الذي له عينان يبصر بهما. فكيف يُعطيه البصرَ مَنْ لم يره؟ وكيف يعطيه آلةَ البيان، من الشفتين واللسان، فينطق، ويبين عمّا في نفسه، ويأمر وينهى مَنْ لا يتكلَّم ولا يكلِّم، ولا يخاطِبُ ولا يأمر ولا ينهى، وهل كمال المخلوق مستفاد إلا من كمال خالقه؟" (الجوزية، صفحة 29)

واختيار كلمة (نجد) للطريق ههنا اختيار لطيف مناسب، فإنَّه لم يقل كما قال في مواطن أخرى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السبيل﴾(الإنسان:3) أو ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾(عبس:20) أو ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾(الفاتحة:6) "ذلك أنَّ التعبير مناسب لجو السورة، فإنَّ سُلوكَ النجدِ فيه مشقةٌ وصعوبة، لما فيه من صعود وارتفاع، فهو مناسب للمكابدة والمشقة التي خلق الإنسان فيها، ومناسب لاقتحام العقبة وما فيه من مشقة وشدة". (السامرائي ف.، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م، صفحة 264).

وفي قوله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ استعارة تصريحية، فقد استعار النجدين للخير والشر، وحذف المشبه وهو الخير والشر وأبقى المشبه به، "فإن قلت أما تشبيه الخير بالنجد وهو المرتفع من الطريق فلا غبار عليه، لأنه ظاهر بخلاف الشر فإنه هبوط وارتكاس من ذروة الفطرة إلى حضيض الابتذال، قلنا: إنه جمع بينهما إما على سبيل التغليب وإما على توهم المخيلة أن فيه صعودا وارتكاسا وإسفافا وهذا من ابلغ الكلام وأروعه" (الدرويش، 1412هـ-1992م، صفحة 491 المجلد 10).

- قال تعالى: ﴿فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾، معنى الآية، أنَّه لم يشكر تلك الأيادي والنعم، بالأعمال الصالحة التي أشار إليها في الآية، والإنفاق الذي يرضي الله تعالى من فكّ الرقاب وإطعام اليتامى والمساكين، لا أنْ يُهلكَ ماله في الرياء والفخار. ينظر: (الزمخشري، 1433هـ-2012م، صفحة 755 ج4) و (السامرائي ف.، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م، صفحة 265).

وفي ذكر (العقبة) استعارة لهذا العمل الذي يشق على النفس وهو انفاق المال، "تشبيه بعقبة الجبل، وهو ما صعب منه، وكان صَعودًا، فإنَّه يلحقه مشقة في سلوكها. واقتحمها: دخلها بسرعة وضغط وشِدَّة.. ويقال: قَحَم في الأمور قُحُومًا: رمى نفسه من غير رَوِيَّةٍ" (أبو حيان الأندلسي، ١٤٢٠ هـ، صفحة 482 ج10).

وجاء في (التبيان): "ولم يقتحم العقبة التي بينه وبين ربه التي لا يصل إليها، حتى يقتحمها بالإحسان إلى خَلْقِه بفك الرقبة، وهو تخليصها من الرق، ليخلِّصه اللهُ من رقِّ نفسه ورق عدوه، وإطعام اليتيم والمسكين في يوم المجاعة، وبالإخلاص له سبحانه بالإيمان الذي هو خالص حقه. وهو تصديقُ خبره وطاعة أمره وابتغاء وجهه وبنصيحة غيره أن يوصيه بالصبر والرحمة ويقبل وصية من أوصاه بها، فيكون صابراً رحيماً في نفسه معيناً لغيره على الصبر والرحمة." (الجوزية، صفحة 29 و30)

واختيار (العقبة) بعد (النجدين)، كما يقول السامرائي: اختيار بديع، وهو أنسب شيء هنا، لأنَّ "ذكرها بعد النجدين جعل الاستعارة في الذروة العليا من البلاغة، ذلك أنَّ النجد: وهو الطريق العالي المرتفع يؤدي إلى العقبة، وهي الطريق الوعر في الجبل، فإنَّ العقبة تقع في النجاد غالباً" (الالوسي، ١٤١٥ هـ، صفحة 353 ج15)، وينظر: (السامرائي ف.، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م، صفحة 265).

وقد استخدم الذكر الحكيم (أو) التي أفادت التخيير، بدلًا من استخدامه (الواو)، لأنَّ في الواو معنى الجمع، "ولو أتى بالواو كان المعنى: لا يقتحم العقبة إلا إذا فكَّ الرقبة، وأطعم هذين الصنفين جميعًا، فإن أطعم صنفًا واحدًا لم يقتحم العقبة. وهو غير مراد، بل المراد التنويع. والمقصود أن يطعم هذه الأصناف من الناس، اليتيم أو المسكين، على سبيل الاجتماع أو الانفراد (السامرائي ف.، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م، صفحة 272). "وقد قدَّم فك الرقاب على إطعام اليتامى والمساكين، إشارة إلى عظم الحرية في الإسلام، وأنَّ المطلوب أولا تحرير الناس من العبودية والاسترقاق". (السامرائي ف.، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م، صفحة 272).

إنَّ اختيار (لا) في هذا الموطن اختيار فيه دقة وروعة وإعجاز، وقد ذهب النحاة والمفسرون في تخريجها عدة مذاهب، ومنها:

- إنَّها نافية للفعل الماضي، أي: (فلم يقتحم العقبة). ومن المعلوم أنَّ (لا) إذا نفت الفعل الماضي المعنى، وجب تكرارها، إلا ما ندر.. في حين لم تتكرر ههنا، وأجابوا عن ذلك بأنَّها مكررة في المعنى، لأنَّ (العقبة) مفسَّرة بشيئين: فك الرقبة، وإطعام المسكين، فكأنه قال: فلا فكَّ رقبة، ولا أطعم مسكينًا.

- إنَّها في الآية دعاء، فلا يلزم تكرارها، كقولهم: (لا فضَّ فاك) و(لا عافاه الله).

- إنَّ الفعل يراد به الاستقبال، بمعنى: لا يقتحم العقبة، فلم يلزم تكرارها.

- هي للاستفهام، والتقدير: أفلا اقتحم العقبة، وقد حذفت الهمزة، والمعنى: أفلا سلك الطريق التي فيها النجاة والخير.

ويرى الدكتور السامرائي أنَّ هذا التعبير جمع عدة معانٍ في آن واحد. فهو يحتمل المضي، والدعاء، ويحتمل الاستقبال، ويحتمل الاستفهام، وهذه المعاني كلها مرادة مطلوبة. ينظر: (السامرائي ف.، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م، الصفحات 266-269).

- قال تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾، أيْ: أيُّ شيءٍ أعلمكَ ما اقتحامُ العقبةِ، تعظيم لشأن العقبة المفسرة بقوله تعالى: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ. أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ. يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ. أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾، ولزيادةِ تقريرِها، وكونِها عند الله تعالى بمكانةٍ رفيعةٍ. ينظر: (أبو السعود العمادي، صفحة 161 ج9)

يقول ابن عاشور في قوله تعالى: إنَّ "ما الاولى استفهام، وما الثانية مثلها، والتقدير: أي شيءٍ أعلمك ما هي العقبة، أي أعلمك جواب هذا الاستفهام، كناية عن كونه أمرًا عزيزًا يحتاج إلى من يُعْلِمك به. والخطاب في ما أدراك لغير مُعَيَّن، لأنَّ هذا بمنزلة المثل". (ابن عاشور، 1984، صفحة 357 ج30)، وهو اعتراض معناه "إنَّك لم تدرِ كنه صعوبتها وثوابها" (البيضاوي، 1418هـ، صفحة 314 ج5).

وكان الترتيب الذي ذكره الله تعالى لخطوات اقتحام العقبة من أجل خير الانسان وصلاحه وصلاح المجتمع ككل، قد بدأ بفك الرقبة وفي ذلك دلالة مهمة وهي "أن تحرير الانسانية من أغلال الرق هو أول خطوة في النضال الصعب من أجل الوجود الكريم الجدير بالإنسان، فليس شيء آخر بالذي يسبق رد الكرامة الآدمية للإنسانية... واستعمال الفك والرقبة، فيه من إشعار بأنَّ العبد المسترق، مغلول الرقبة بقيد مهين، يسلبه إنسانيته وينزل به إلى منزلة البهم والدواب، وهو المخلوق الذي سواه الله بشرا حرا كريما، فاستعبده مخلوق مثله" (بنت الشاطئ ع.، صفحة 187 ج1).

- قال تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾

تفيد (ثم) الترتيب مع التراخي، إلا أنَّ (ثُمَّ) هنا لا تفيد التراخي في الوقت، وإلا تأخر الإيمان الذي لا يفيد أي عامل صالح ولا يثبت إلا به، من فك الرقاب، وإطعام المحتاجين. بل تفيد (ثم) هنا التراخي الرتبي، "وتدل على أن مضمون الجملة المعطوفة بها أرقى رتبة في الغرض المسوق له الكلام من مضمون الكلام المعطوف عليه، فيصير تقدير الكلام: فلا اقتحم العقبة بفك رقبة أو إطعامٍ بعد كونه مؤمنًا. وفي فعل (كان) إشعارٌ بأنَّ إيمانه سابق على اقتحام العقبة المطلوبة فيه بطريقة التوبيخ على انتفائها عنه. (فهو مؤذن بأنه شرط في الاعتداد بالأعمال) (ابن عاشور، 1984، صفحة 360 ج30) "تراخي الإيمان وتباعده في الرتبة والفضيلة، عن العتق والصدقة." (الزمخشري، 1433هـ-2012م، صفحة 757 ج4).

ومثل هذا المعنى ما جاء في (فتح القدير)، إذ قال: "جاء بـ(ثم) للدلالة على تراخي رتبة الإيمان، ورِفْعَة مَحَلِّه. وفيه دليل على أنَّ هذه القُرَب، إنما تنفع مع الإيمان." (الشوكاني، 1414هـ، صفحة 542 ج5).

وجاء التعبير في الآية بقوله: (كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا)، من غير أن يقول: (كان مؤمنًا)، "لأنَّ كونه من الذين آمنوا أدلُّ على ثبوت الايمان من الوصف بمؤمن، لأنَّ صفة الجماعة أقوى من أجل كثرة الموصوفين بها، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾(البقرة:67)، وحذف المتعلق للعلم به، أي: آمنوا بالله وحده وبرسوله ص ودين الاسلام، فجعل الفعل كالمستغني عن المتعلق. وليتأتَّى من ذكر الذين آمنوا تَخَلُّص إلى الثناء عليهم في نهاية الآية" (ابن عاشور، 1984، صفحة 361 ج30) .

وبعد هذه الآيات ذكر سبحانه التواصي بالصبر والتواصي بالمرحمة. و"المرحمة: الرحمة أي: أوصى بعضهم بعضاً بالصبر على الإيمان والثبات عليه، أو بالصبر عن المعاصي وعلى الطاعات والمحن التي يُبتلى بها المؤمن، وبأنْ يكونوا متراحمين متعاطفين أو بما يؤدي إلى رحمة الله." (الزمخشري، 1433هـ-2012م، صفحة 757 ج4).

وإذا ما امعنا النظر في الآية المباركة نلاحظ أنَّ لفظ (تواصوا) قد تكرر مع الصبر ومع المرحمة، فقال تعالى: ﴿وَتَوَاصَوا بالصبر وَتَوَاصَوا بالمرحمة﴾ ولم يقل: (وتواصَوا بالصبرِ وبالمرحمةِ)، أو: (وتواصَوا بالصبرِ والمرحمةِ).

وهو ما أشار إليه الدكتور السامرائي، إذ حدد ثلاثة تعبيرات لكل تعبير منها دلالته الخاصة، وهي:

- وَتَوَاصَوا بالصبر وَتَوَاصَوا بالمرحمة

- وتواصوا بالصبر وبالمرحمة.
- وتواصوا بالصبر والمرحمة.

والتعبير الأول، كما يقول: "أقوى التعبيرات للدلالة على أهمية التواصي بكُلٍّ منهما، وللدلالة على أنَّ كلًا منهما جدير بالتواصي به، وذلك لتكرار الفعل مع حرف الجر، توكيدًا على أهمية ذلك". (السامرائي ف.، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م، صفحة 275)

وقد يسأل سائل لما خصَّ الذكر الحكيم بالذكر من بين أوصاف المؤمنين، تواصيهم بالصبر وتواصيهم بالمرحمة، وجواب ذلك أنَّ الصبر والمرحمة هما من أشرف الصفات بعد الإيمان، "فإنَّ الصبر مِلاك الأعمال الصالحة كلها، لأنها لا تخلو من كبح الشهوة النفسانية وذلك من الصبر. والمرحمة مِلاك صلاح الجامعة الاسلامية، قال تعالى: (رحماء بينهم).. وفيه تعريض بأنَّ أهل الشرك ليسوا من أهل الصبر ولا من أهل المرحمة" (ابن عاشور، 1984، صفحة 361 ج30).

"وفي الآية نكتة لطيفة، وهي: أنَّه سبحانه ذكر في باب الكمال، أمرين: فك الرقبة والإطعام ثم الإيمان، وذكر في باب التكميل، شيئين: التواصي بالصبر على الوظائف الدينية، والتواصي بالتراحم، وكل من النوعين مشتمل على التعظيم لأمر الله، والشفقة على خلق الله، إلا أنَّه في الأول قدم جانب الخلق، وفي الثاني قدم جانب الحق.

ففي الاول إشارة إلى كمال رحمته ونهاية عنايته بالمخلوقات، فإنَّ رعاية مصالحهم عنده أهم وفي الآخر رمز إلى حسن الادب وتعليم للمكلفين أن يعرفوا ما هو الاقدم الاهم في نفس الأمر" (النيسابوري، 1416هـ، صفحة 505 ج6)

- قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾

أي من وفقهم الله تعالى لهذه الأوصاف، والذين وفقهم لاقتحام العقبة هم (أصحاب الميمنة)، فقد أطاعوا الله تعالى فيما أمرهم به من حقوقه، وحقوق عباده، وتركوا ما نهوا عنه. ينظر: (السعدي، 1422هـ-2002م، صفحة 1092)

والميمنة: "مفعلة من اليُمن، وهو الخير والبركة. وقد يكون معناه جهة اليمين التي تقابل الميسرة وهي الجهة التي فيها السعداء. وقد يكون معناها أصحاب اليمين أي: الذين يُؤتَون صحائفهم بأيمانهم. وقد يكون معناها: أصحاب اليمن والخير على أنفسهم وعلى غيرهم" (السامرائي ف.، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م، صفحة 276)

أمّا المشأمة: "مفعلة من الشأم، وهي جهة الشمال، أو من الشؤم، وهو ضد اليُمن. ومعنى أصحاب المشأمة أصحاب جهة الشمال التي فيها الأشقياء أو الذين يؤتَون صحائفهم بشمائلهم أو أصحاب الشؤم على أنفسهم وعلى غيرهم في الدنيا والآخرة". (السامرائي ف.، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م، صفحة 277)

وعندما نتفحص قوله تعالى عند ذكره أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة، نرى أنَّ هناك اختلافًا بين التعبيرين، فقد أشار عزَّ وجلَّ إلى المؤمنين باسم الإشارة (أولئك) "تكريمًا لهم، وأنهم حاضرون عنده تعالى في مقام كرامته، وبمثابة الجالسين أمامه، لا يعدو الأمر أكثر من الإشارة إليهم بالبنان، ثم استعمل لفظ الاشارة الدال على البعد، فلم يقل هؤلاء، إيذانًا ببعد منزلتهم عنده، ونيلهم شرف الحظوة والقرب منه. أمّا الكافرون فقد ذكرهم بضمير الغيبة، إشارة إلى أنَّهم غائبون عن مقام تجلياته، وسبحات فيوضاته، وأنَّهم لا يستأهلون أن يمتوا إليه، ولو بأوهن الأسباب". (الدرويش، 1412هـ-1992م، صفحة 492 مجلد 10) ونوه ابن عاشور إلى أن سبب افتتاح الآية باسم الإشارة، "هو لتمييزهم أكمل تمييز، وإحضارهم بصفاتهم في ذهن السامع، مع ما في اسم الإشارة من إرادة التنويه والتعظيم" (ابن عاشور، 1984، صفحة 362 ج30).

وذكر الآلوسي أنَّ ضمير الفصل جاء مع الكافرين لإفادة الحصر، وكأنهم غيبًا ولا يصلحون على أي وجه أن يشار إليهم. ولم يكن الأمر كذلك مع المؤمنين. ونقل عن الشمني أنه قال: "إنَّ اسم الإشارة يؤتى به لتمييز ما أريد به أكمل تمييز، كقوله:

هذا أبو الصقر فردا في محاسنه من نسل شيبان بين الضال والسلم

ولا كذلك الضمير، فإنَّ اسم الإشارة البعيد يفيد التعظيم لتنزيل رفعة محل المشار به إليه منزلة بعد درجته فاسم الإشارة للتعظيم والإشارة إلى تمييزهم واستحقاقهم كمال الشهرة بخلاف أصحاب المشأمة والضمير لا يفيد ذلك". (الالوسي، ١٤١٥ هـ، صفحة 356 ج15). لذلك فإنَّ استخدام الآية المباركة لهذين اللفظين جاء متسقا ومنسجما مع دلالة السياق القرآني.

- قال تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ﴾.

ومعنى الآية أنَّها نار أطبقت عليهم، فليس فيها منفذ يستطيعون الخروج منه، حالها حال أعمالهم الباطلة وأفكارهم المريضة التي لا تتوافق مع ما نادت به الشريعة السمحة، فأطبقت على عقولهم، وقلوبهم، فلم تخرج منها، كذلك أطبقت عليهم هذه النار، فلم تستطع أجسامهم الخروج منها. ينظر: (الجوزية، صفحة 30).

أي: أنَّها مغلقة إغلاقًا مطبقًا، لا منفذ لها ولا مخرج يتمكنوا الخروج عن طريقه. وترى الدكتورة عائشة بنت الشاطئ أنَّ أصل اللفظ من الوصيد، وهو في اللغة: الجبل، لذلك تقول: "ونرى أنَّ الايصاد ليس مجرد الاغلاق، وإنما فيه الشدة والإحكام الملحوظان في أصل المادة" (بنت الشاطئ ع.، صفحة 190 ج1).

وأوضح الآلوسي أنَّ عبارة مغلقة أبوابها، إنما ذكرت لتشديد العذاب، والعياذ بالله تعالى، عليهم. ينظر: (الالوسي ص356 ج15)

وقيل: (عليهم) أي "خاصة بهم دون غيرهم" (البقاعي، صفحة 68 ج22)، وهو متعلق بمؤصدة، "وقدم على عامله للاهتمام بتعلق الغلق عليهم تعجيلًا للترهيب، وقد استتب بهذا التقديم رعاية الفواصل بالهاء ابتداءً من قوله: فلا اقتحم العقبة" (ابن عاشور، 1984، صفحة 363 ج30) وهذا صحيح لأنَّ كلمة (مؤصدة) هي المناسبة لخواتم الآي: المسغبة، والمقربة، والمتربة، والمرحمة، والمشأمة، فإنَّه لو أخر الجار والمجرور وقال: (نار مؤصدة عليهم) لم يكن مناسبًا.

ومعنى الآية أيضا يقتضي تقديم (عليهم)، فالتقديم هنا يفيد الحصر، "فالنار مؤصدة على الكافرين لا يخرجون منها أبداً، فهي إذن مؤصدة عليهم حصراً، ولو قال تعالى: (نار مؤصدة عليهم) لم يفد الحصر بل لأفاد أنها مؤصدة عليهم، وقد تكون مؤصدة على غير الكفار أيضاً، وهو غير مراد في الآية لهذا السبب كان التقديم". (السامرائي ف.، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م، صفحة 279).

وقال تعالى في الآية: (عليهم) ولم يقل سبحانه: (فوقهم)، "وذلك لأنَّ الفوقية تحتمل البعد وعدم الملاصقة، بخلاف (عليهم) التي تفيد الإطباق المباشر" (بنت الشاطئ ع.، صفحة 191 ج1). "وقيل: مبهمة، لا يُدرى ما داخلها" (القرطبي، 1384هـ - 1964م، صفحة 72 ج20) "والايصاد بالحقيقة صفة أبواب النار، وقَد جَرَت صِفةٌ للنَّارِ على تَقديرِ: عَلَيهِم نارٌ مؤصدة أبوابها فهو من الإسناد المجازي" (النيسابوري، 1416هـ، صفحة 505 ج6)، وينظر: (الرازي، 1401هـ-1981م، صفحة 171و172 ج31)

وإذا ما نظرنا إلى الآية المباركة، نرى أنّ الذكر الحكيم صرَّح بجزاء الكافرين، ولم يصرح بجزاء المؤمنين، وذلك "لأنَّه الأنسب بما سِيقَ له الكلامُ، والأوفقُ بالغرض والمرام" (الالوسي، ١٤١٥ هـ، صفحة 356 ج15).

الخاتمة:

توصلت نتائج الدراسة إلى ما يأتي:

1- سورة البلد من السور المكية، وهذه السورة على قصر حجمها، إذ تحتوي على عشرين آية، إلا أنَّ فيها الكثير من المعاني العميقة الدلالة، التي تحمل الكثير من القيم الإنسانية، والصفات الإيمانية، والعبر والدروس التي ينبغي أن يتمسك بها العبد المؤمن، ويتخذها منهجا في حياته اليومية، ليفوز برضا الله تعالى وتوفيقه.

2- في السورة محطات عبادية عديدة ينبغي التوقف عندها وتأملها، فهي تحث على العمل الصالح، والتعاون، وتشدد على أهمية مساعدة الفقراء والمحتاجين، حتى نلحق بمضمار أصحاب الميمنة، الذين اقتحموا العقبة بفك الرقبة، والإطعام في يوم ذي مسغبة، يتيما ذا متربة أو مسكينا ذا متربة، للنجاة من النار التي أوصدت أبوابها، أعدَّها الله تعالى عقابًا للكافرين المعاندين.

3- أشارت السورة المباركة إلى حقيقة هذه الحياة، وما فيها من كبد وعناء وتعب، وأنَّها لم تصفُ ولن تصفو لأحد من البشر، وما الحياة إلا صبر وتراحم يعقبهما راحة وفوز .

4- رسمت السورة المباركة صورة الانفاق الحقيقي، الذي يحسب للعبد ويجزى به خير جزاء، وهو ما كان لله تعالى وفي سبيله. وليس كل ما أنفقه الإنسان يزكو وينمو، فالإنفاق لأجل التفاخر والرياء السمعة، يحمل صاحبه إلى الشقاء والندم والحسرة، ويذهب هباءً منثورا.

5- تحمل السورة العديد من الصيغ اللغوية المتميزة، التي تبرز بلاغة القرآن الكريم ودقته في انتقاء الألفاظ والجمل، التي تتعاون معا داخل السورة لنقل الرسالة الدينية، والتعاليم الاسلامية الموجودة فيها بدقة وإحكام. فكانت ألفاظه وعباراته نسيجا مترابطا غاية في الروعة والاتقان، بحيث يصعب معها استبدال كلمة بدل كلمة أخرى، ويبقى المعنى على حاله من دون تغيير.

6- احتوت السورة المباركة على العديد من الأساليب البلاغية واللغوية، التي تعمل على جذب انتباه القارئ وتفكيره، مثل: التخاطب المباشر وأسلوب الاستفهام، والتكرار، والتشبيه، والمجاز، والوصف، والتقابل، والتعظيم للخالق وغيرها، مما يسهم في جعل النص له تأثير عميق في توجيه القارئ كما تريد السورة.

المصادر والمراجع:

-القرآن الكريم.

-ابن قيم الجوزية. (بلا تاريخ). التبيان في أقسام القرآن. القاهرة: مكتبة المتنبي.

-أبو جعفر محمد بن علي الشيخ الصدوق. (بلا تاريخ). ثواب الأعمال وعقاب الأعمال (المجلد الطبعة الخامسة). قم: طليعة نور.
-أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب الاسكافي. (١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م). درة التنزيل وغرة التأويل. مكة المكرمة: جامعة أم القرى.
-أحمد بن إبراهيم الغرناطي. (بلا تاريخ). ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل. بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية.
-الفضل بن الحسن الطبرسي. (بلا تاريخ). مجمع البيان في تفسير القرآن. بيروت- لبنان: دار المرتضى.
-برهان الدين ابراهيم بن عمر البقاعي. (بلا تاريخ). نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. القاهرة: دار الكتاب الاسلامي.
-جلال الدين السيوطي. (1406هـ-1986م). تناسق الدرر في تناسب السور (المجلد الطبعة الأولى). بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية.
-جماعة من علماء التفسير. (1436هـ). المختصر في تفسير القرآن الكريم (المجلد الثالثة). السعودية- الرياض: مركز تفسير للدراسات القرآنية.
-شهاب الدين محمود بن عبد الله الالوسي. (١٤١٥ هـ). روح المعاني. بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية.
-ضياء الدين الأعلمي. (1420هـ-2000م). خواص القرآن وفوائده (المجلد الطبعة الأولى). بيروت- لبنان: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
-عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ. (1971م). الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الازرق. مصر: دار المعارف.
-عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ. (بلا تاريخ). التفسير البياني للقرآن الكريم (المجلد الطبعة السابعة). القاهرة: دار المعارف.
-عبد الرحمن بن ناصر السعدي. (1422هـ-2002م). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (المجلد الطبعة الثانية). السعودية: دار السلام للنشر والتوزيع.
-عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني. (1430هـ-2009م). درج الدرر في تفسير الآي والسور (المجلد الطبعة الأولى). عمان/ الاردن: دار الفكر.
-فاضل بن صالح السامرائي. (١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م). لمسات بيانية في نصوص من التنزيل (المجلد الثالثة). عمان - الأردن: دار عمار للنشر والتوزيع.
-فخر الدين بن ضياء الدين الرازي. (1401هـ-1981م). مفاتيح الغيب. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
-فهد بن عبد الرحمن الرومي. (1426هـ). دراسات في علوم القرآن الكريم (المجلد الرابعة عشر). الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية.
-محمد الطاهر ابن عاشور. (1984). التحرير والتنوير. تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع.
-محمد بن أحمد القرطبي. (1384هـ - 1964م). الجامع لأحكام القرآن (المجلد الثانية). القاهرة: دار الكتب المصرية.
-محمد بن علي الشوكاني. (1414هـ). فتح القدير (المجلد الاولى). دمشق، بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب.

-محمد بن محمد أبو السعود العمادي. (بلا تاريخ). إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
-محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي. (١٤٢٠ ه). البحر المحيط. بيروت-لبنان: دار الفكر.
-محمد عبده. (1341ه). تفسير القرآن الكريم جزء عم (المجلد الطبعة الثالثة). مصر: الجمعية الخيرية الاسلامية.
-محمود بن عمر الزمخشري. (1433ه-2012م). الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون التأويل. القاهرة: دار الحديث.
-محيي الدين الدرويش. (1412ه-1992م). إعراب القرآن الكريم وبيانه (المجلد الثالثة). حمص-سوريا: دار الارشاد للشؤون الجامعية.
-ناصر الدين عبد الله البيضاوي. (1418ه). أنوار التنزيل وأسرار التأويل (المجلد الاولى). (تحقيق:محمد عبد الرحمن المرعشي، المحرر) بيروت: دار احياء التراث العربي.
-نظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري. (1416ه). غرائب القرآن ورغائب الفرقان (المجلد الطبعة الأولى). (المحقق الشيخ زكريا عميرات، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.

Sources And References:

- The Holy Quran.
- Ibn Qayyim al-Jawziyyah. (no date). Altibyan fi Aqsam Alquran. Cairo: Al-Mutanabbi Library.
- Abu Jaafar Muhammad bin Ali Sheikh Al-Saduq. (no date). Thawab Al'aemal Waeiqab Alaemal. 5ed nd. ed: Vanguard of Light.
- Abu Abdullah Muhammad bin Abdullah Al-Khatib Al-Iskafi. (1422 AH - 2001 AD). Durat Altanzil Waghurat Altaawil. Mecca: Umm Al-Qura University.
- Ahmed bin Ibrahim Al-Gharnati. (no date). Malak Altaawil Alqatie Bidhawi Aliilhad Waltaetil. Beirut - Lebanon: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.
- Al-Fadl bin Al-Hasan Al-Tabarsi. (no date). Majmae Albayan fi Tafsir Alquran. Beirut - Lebanon: Dar Al-Murtada.
- Badr al-Din Abi Abdullah al-Zarkashi. (1958). Alburhan fi Eulum Alquran. Aleppo: House of Arab Book Revival.
- Burhan Al-Din Ibrahim bin Omar Al-Bikai. (no date). Nazam Aldarar fi Tanasub Alayat Walsuwr. Cairo: Dar Al-Kitab Al-Islami.
- Jalal al-Din al-Suyuti. (1406 AH - 1986 AD). Tanasuq Aldarar fi Tanasub Alsuwr . 1nd ed. Beirut-Lebanon: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.

- A group of interpretation scholars. (1436 AH). Almukhtasar fi Tafsir Alquran Alkarim. 3nd ed. Saudi Arabia - Riyadh: Tafsir Center for Qur'anic Studies.
- Shihab al-Din Mahmoud bin Abdullah al-Alusi. (1415 AH). Ruh Almaeani. Beirut-Lebanon: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.
- Dia al-Din al-Alami. (1420 AH - 2000 AD). Khawas Alquran Wafawayiduh. 1nd ed . Beirut - Lebanon: Al-Alami Publications Foundation.
- Aisha Abdel Rahman bint Al-Shati. (1971 AD). Aliiejaz Albayaniu Lilquran Wamasayil Abn Alazaraq. Egypt: Dar Al-Maaref.
- Aisha Abdel Rahman bint Al-Shati. (no date). Altafsir Albayaniu Lilquran Alkarim . 7nd ed. Cairo: Dar Al-Maaref.
- Abdul Rahman bin Nasser Al-Saadi. (1422 AH - 2002 AD). Taysir Alkarim Alrahman fi Tafsir Kalam Almanan. 2nd ed.Saudi Arabia: Dar Al Salam for Publishing and Distribution.
- Abdul Qahir bin Abdul Rahman Al-Jurjani. (1430 AH - 2009 AD). Daraj Aldarar fi Tafsir Alay Walsuwr. 1nd ed. Amman/Jordan: Dar Al-Fikr.
- Fadil bin Saleh Al-Samarrai. (1423 AH - 2003 AD). Lamasat Bayaniat fi Nusus min Altanzil. 3nd ed . Amman - Jordan: Dar Ammar for Publishing and Distribution.
- Fakhr al-Din bin Diya al-Din al-Razi. (1401 AH - 1981 AD). Mafatih Alghayb. Dar thought for printing, publishing and distribution.
- Fahd bin Abdul Rahman Al Rumi. (1426 AH). Dirasat fi Eulum Alquran Alkarim.14nd ed . Riyadh: King Fahd National Library.
- Mohamed Al-Taher Ibn Ashour. (1984AH). Altahrir Waltanwir. Tunisia: Dar Sahnoun for Publishing and Distribution.
- Muhammad bin Ahmed Al-Qurtubi. (1384 AH - 1964 AD). Aljamie Liahkam Alquran. 2nd ed. Cairo: Egyptian Book House.
- Muhammad bin Ali Al-Shawkani. (1414 AH). Fath Alqadir. 1nd ed. Damascus, Beirut: Dar Ibn Kathir, Dar Al-Kalam Al-Tayyib.
- Muhammad bin Muhammad Abu Al-Saud Al-Emadi. (no date). Iirshad Aleaql Alsalim Iilaa Mazaya Alkitaab Alkarim. Beirut: Dar Revival of Arab Heritage.

- Muhammad bin Yusuf Abu Hayyan Al-Andalusi. (1420 AH). Albahr Almuhit. Beirut-Lebanon: Dar Al-Fikr.
- Mohamed Abdu. (1341 AH). Tafsir Alquran Alkarim Juz Eama. 3nd ed . Egypt: Islamic Charitable Society.
- Mahmoud bin Omar Al-Zamakhshari. (1433 AH - 2012 AD). Alkashaaf ean Haqayiq Altanzil Waeuyun Altaawil. Cairo: Dar Al-Hadith.
- Mohieddin Al-Darwish. (1412 AH - 1992 AD). Iierab Alquran Alkarim Wabayanih .3nd ed. Homs-Syria: Dar Al-Irshad for University Affairs.
- Nasser al-Din Abdullah al-Baydawi. (1418 AH). Anwar Altanzil Waasrar Altaawil. 1nd ed. ed: Muhammad Abd al-Rahman al-Marashi. Beirut: Arab Heritage Revival House.
- Nizam al-Din al-Hasan bin Muhammad al-Naysaburi. (1416 AH). Gharayib Alquran Waraghayib Alfurqan .1nd ed .ed. Sheikh Zakaria Amirat. Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya.

The Structural Analysis of Surah Al-Balad

Dr. Balsam Abbas Hammoodi

Center For Strategic Studies

Kerbala University

balsam.a@uokerbala.edu.iq

Keywords: The Arabic language >structural study, the Holy Qur'an

Summary:

The Holy Koran is an important source of inspiration for scholars and researchers in various fields of science. It contains various sciences, including religion, language, natural and social sciences, etc., which open up vast prospects for in-depth studies and research. It could enrich understanding and guide researchers to creativity and innovation. The study of the Holy Koran is also of great importance, providing a profound understanding of the divine message and its instructions, as well as contributing to the strengthening of faith and belief in the same man.

The Holy Koran contains a large number of secrets and wonders, which show its greatness and miracle. This study examines one of these secrets, in Surah of Surah the Blessed, the Surah of the country, and in this blessed wall of dialects, linguistic secrets, illuminating signs and meanings, and grammatical, indicative and null methods that have been characterized by them. Through our research, using structural study, we will try to probe meanings, dive in clues, and stand up to the specificity of the methods used in the bracelet, from different linguistic aspects.

The research included two papers: first, the introduction to the country & apos; s bracelet; second, the name of the bracelet; third, the bounty of the bracelet and its characteristics; fourth, the spirit of the order of the bracelet; and sixth, the purposes and purposes of the blessed bracelet. The second research involves the structural study of the bracelet. The research concluded with a conclusion containing the main findings of the research, and a list of sources and references.